| محاضرة رقم ٧ | |
|---|---|
| الكلية | التربية للعلوم الانسانية |
| القسم | التاريخ |
| المادة | تاريخ العراق الحديث |
| المرحلة | الثالثة |
| السنة الدراسية | ٢٠٢٣ -٢٠٢٤م |
| الفصل الدراسي | الاول |
| المحاضر | م. د: عداي إبراهيم مجيد حوران |
| العنوان باللغة | نشأة الدولة العثمانية والدولة الصفوية والتوجه نحو العراق والوطن العربي ( العوامل والدوافع) |
| العنوان باللغة | **The formation of the Ottoman Empire, the Safavid State and the orientation towards Iraq and the Arab homeland (factors and motives)** |
| المصادر والمراجع | ايناس سعدي عبد الله ، تاريخ العراق الحديث ١٢٥٨ -١٩١٤ |
| | علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث |
| | عباس جعفر حميدي ،تأريخ العراق الحديث |

المحاضرة السابعة :

نشأة الدولة العثمانية والدولة الصفوية والتوجه نحو العراق والوطن العربي ( العوامل والدوافع)

يقع العراق ضمن منطقة تمتد بين حدود الدولة الصفوية من جهة وبين الدولة العثمانية من جهة أخرى لذلك دخل العراق خلاله تاريخه الحديث ضمن مرحلة الصراع العثماني الصفوي لفترة طويلة منذ معركة جالديران ١٥١٤وحتى توقيع معاهدة أرضروم الثانية ١٨٤٧وقد مر هذا الصراع بسلسلة من المعارك العسكرية والحروب التي انتهت بعقد مجموعة من المعاهدات لتسوية مشاكل الحدود بين الطرفين، لذلك لابد من ذكر نبذة مختصرة عن نشأة الدولتين لمعرفة دوافعهم التوسعية وأسباب توجههما نحو العراق والوطن العربي .

يعتقد مجموعة من الباحثين والمؤرخين وفي مقدمتهم المؤرخ البريطاني أرولند توينبي **Arnold Toynbee** أن الأحداث التي وقعت في الشرق أوائل القرن السادس عشر هي التي جذبت الدولة العثمانية الى الوطن العربي ،ومن ابرز هذه الاحداث ظهور الدولة الصفوية في بلاد فارس ويضيف أن توسع العثماني للاقطار العربية ما هو الا مرحلة من مراحل الصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية بقصد السيطرة على منطقة الشرق الأوسط، لذلك لابد من ذكر نبذة مختصرة عن نشأة الدولتين كلاً على حدا ليسهل علينا فهم دوافعهم التوسعية وأسباب توجهما نحو العراق والوطن العربي.

_ نشأة الدولة العثمانية في بلاد الأناضول

لايزال موضوع نشأة الدولة العثمانية يثير جدلاً ونقاشاً بين أذهان المؤرخين المختصين والباحثين بالتاريخ العثماني وسبب ذلك يرجع الى عاملين أساسيين يتعلق أولهما :بفقدان المصادر والمواد الأولية التي تعود لتلك الحقبة، وثانيهما : كثرة ما علق بهذا التاريخ من أساطير وخرافات، لذلك فقد تعددت الروايات في هذا الشأن وأبرزها هي الرواية التقليدية التي تقول بأن العثمانيين ينتسبون إلى إحدى قبائل الغز التركية تتخلص بأن جد العثمانيين الأعلى وهو سليمان شاه ينتمي إلى عشيرة تركمانية اسمها قايي ،وكان يحكم منطقة ماهان شمال شرق إيران في أواخر القرن الثاني عشر متجهاً مع جماعة من أتباعه نحو الأناضول ، وتشير هذه الرواية إلى أن سليمان شاه غرق أثناء عبوره نهر الفرات عند قلعة جعبر فانقسمت أسرته إلى قسمين فضل أحدهما، وكان بقيادة كنديار أحد أبنائه العودة من حيث أتى ، أما القسم الآخر فكان بقيادة ارطغرل يعني اسمه " الرجل ذو القلب الابيض " قرر الاستمرار في الاتجاه نحو الأناضول وبهذا يعد ارطغرل )١٢٣١_١٢٨٨) معنى ذات قلب الأبيض مؤسس الأسرة العثمانية في الأناضول وفي أثناء سير أرطغرل وجماعته مؤلفة من أربعمائة فارس وعائلاتهم وعلى غير متوقع شاهد معركة دائرة بين فريقين لا يعرفها وكان أحد من الفريقين قد ضغط على الآخر وبضرورة ، ولما أنس الضعف في أحد الجيشين وتحقق من الانكسار وخذلانه دبت فيه النخوة الحربية هو وفرسانه لنجدة ومساعدة الجيش الخاسر

وهاجم الجيش الغالب وتم النصر لهذا الفريق وتبين فيما بعد أن الجيش الذي جرى إنقاذه من الهزيمة المؤكدة كان بقيادة سلطان دولة الروم السلاجقة علاءالدين الأول ( ١٢١٩ _ ١٢٣٥) فكافأه الأخير أرطغرل بمنحه وقبيلته أرضاً كاقطاع على الحدود البيزنطية هي ( سكود ) شمال غرب الأناضول على الحدود البيزنطية كما منحه لقب ( محافظ الحدود ) ولم يكتفي ارطغرل بمهمة المحافظة على الحدود فأخذ يتوسع في اراضي البيزنطية أمثال كوتاهية ، وبعد وفاته عام ١٢٨٨ تولى ابنه الأكبر عثمان ) ١٢٨٨ _ ١٣٢٦ ) رئاسة قبيلته وتتحدث الروايات باعتناق عثمان للإسلام وزواجه من مال خاتون بنت رجل صالح يدعى ( الشيخ العارف أدى بالي ) ، ولم يلبث هذا أن حصل على امتيازات جديدة عقب فتحة قلعة ( قره حصار ) عام ١٢٨٩ فمنحه السلطان السلجوقي علاء الدين لقب ( بك ) واقطعه كافة الأراضي والإقلاع التي استولى عليها وأجاز له سك العملة وذكر اسمه في خطب الجمعة وعلى أثر وفاة علاء الدين السلجوقي أعلن استقلاله عن الأراضي التي يسيطر عليها واتخذ لقب (بادشاه عثمان ) أي سلطان كدلالة على قيام دولته، ثم وسع إمارته على حساب البيزنطيين مستغلاً الفوضى والإهمال فسيطر على قلعة بيلجيك و يني شهر( يكي شهر ) وخلال الأعوام التالية كان عثمان قد تمكن من أحكام قبضته في الأناضول بعد أن احتل عدة حصون ومدن عام ١٣١٢ ، يظهر أن قوته بلغت حد أن هاجم بروسيا بعد عشر سنوات إلا أنه توفى قبل أن يحتلها تاركاً الأمر لابنه أورخان ( ١٣٢٦ _ ١٣٦٠) التي اتخذها عاصمة له والتي تعد إحدى أهم النقاط العسكرية في الأناضول وبشكل عام فقد اتسم عهد اورخان بأمرين هما :

١ _ اتساع العمليات العثمانية في عهده

٢ _ تنظيم الحكم في الدولة بعد اتساع رقعتها فقد عمد السلطان أورخان إلى إصدار مجموعة من القوانين لتنظيم أمور الحكم وضرب العملة الذهبية والفضية وأسس الجيش الجديد ( القوات الإقطاعية) ، بعد ذلك اخذ العثمانيون في تزايد قوتهم ونفوذهم وإمكاناتهم العسكرية في كل من الأناضول وشبه جزيرة البلقان والإمارات المجاورة لهم أمثال ادرنة التي احتلها مراد الأول عام ١٣٦١ونقل العاصمة من بروسه الى ادرنة التي ظلت عاصمة الدولة العثمانية حتى عام ١٤٥٣ وعلى اثر فتح القسطنطينية١٤٥٣ على يد السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح قد اتخذها عاصمة له وسماها استانبول أي دار السلام انذاك .

لقد كان موضوع نشأة الدولة العثمانية والروايات المتعلقة به مثار نقد وتمحيص عدد من المؤرخين ومنهم المؤرخ الانكليزي كيبونز والمؤرخ التركي محمد فؤاد كوبري ، والمؤرخ الإنجليزي بول ويتك والذين وضعوا نظريات حديثة تجاوزت الرواية التقليدية ذات الأسس

الواهية وتبنوا افكاراً جديدة تتوافق مع المنطق العلمي والسياق التاريخي أو ضمن رؤية يقررها المنهج الذي يعتمده المؤرخ في دراسة التاريخ .

إزاء ذلك يمكن القول إن العثمانيون: هم قبائل نزحت من أواسط آسيا، واستوطنت في الشمال الغربي من بلاد الأناضول (تركيا حاليا) وقد سموا باسم العثمانيين نسبة الى المؤسس الحقيقي (عثمان ابن أرطغرل)، استفاد العثمانيون من ظروف الانقسام والتجزئة التي كانت عليها الإمبراطورية البيزنطية فوسعوا أملاكهم وعبروا الى الجانب الأوربي، ثم تمكن العثمانيون في عهد السلطان محمد الثاني (محمد الفاتح) من السيطرة على القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية زهاء الف عام في ٢٩ أيار ١٤٥٣، فقد كان العثمانيون طوال القرن الخامس عشر يتوسعون باتجاه أوروبا الوسطى والشرقية وكان ذلك بداية لتحول دولتهم الى امبراطورية واسعة امتدت عبر أجزاء كبيرة من قارات ثلاث اسيا وافريقيا واوربا ،اتخذت الدولة العثمانية في عهد سلطانها سليم الأول ( ١٥١٢ _ ١٥٢٠ ) التوجه نحو الأقطار العربية محُدثاً بذلك انقلاباً في إستراتيجية الدولة العثمانية إذ توقف زحفها الأوربي ، ومهما تعددت الآراء واختلفت في تعليل هذه الظاهرة فإن هناك أسباب مهمة للتوجه :

## أسباب ودوافع السيطرة العثمانية على الأقطار العربية

اولا: ظهور الدولة الصفوية في بلاد فارس وادعائهم بتزعم المسلمين.

ثانيا: الغزو الاوربي للوطن العربي المتمثل بتوجه البرتغاليين والاسبان نحو الشمال الغربي من الساحل الأفريقي والمياه العربية الجنوبية المتمثلة بالبحر الأحمر والخليج العربي والمغرب العربي.

ثالثا: تحول استراتيجية الدولة العثمانية من الخط الهجومي الى الدفاعي كان السبب الأساسي في اندفاع العثمانيين نحو الوطن العربي.

كذلك ادعاء الدولة الصفوية والعثمانية بأحقيتهم في تزعم العالم الإسلامي وتسترهم بالدين والمذهب لتحقيق الأهداف الاستعمارية التوسعية

_ نشأة الدولة الصفوية في بلاد فارس

نشأت الدولة الصفوية في بلاد فارس اولاً كحركة دينية وسط الاضطراب الذي عم إيران عقب السقوط الدولة المغولية الأولى وهم بالاساس اسرة تركمانية صوفية تنتسب الى الشيخ صفي الدين إسحاق الأردبيلي الذي أشتهر في اردبيل بطريقته التي حقق نفوذاً واضحاً في هذه المنطقة ، انتقلت المشيخة الى احفادة خوجه علي بن حيدر الذي اتصل بتيمورلنك خلال غزوه للمنطقة فاوقف عليه اردبيل له ولاتباعه، لذلك تمركزت الحركة هناك ثم أخذت في الانتشار، وحين انتقلت مشيخة الحركة إلى جنيد سعى لتحويلها إلى حركة سياسية متخذاً القوة اداة لنشرها، وقد ارتبط جنيد باواصر المصاهرة مع (أسرة اوزون حسن الطويل ) مؤسس الإمارة الآق قوينلو( ١٤٨٦ _ ١٥٠٨):وتعني ذو الغنم الأبيض ، فاكتسب جنيد بهذا الزواج قوة كبيرة وأصبح للحركة الصفوية ابعاداً سياسية واضحة المعالم .

واصل حسن الطويل دعمه حيدر ابن الشيخ جنيد الصفوي أما أهم أعماله تشكيل القوة عسكرية وقد اتخذ لاتباعه لباساً مميزاً للرأس عرف ( بقلنسوة الحمراء ) أي القزلباش بمعنى ذوي الرؤوس الحمراء وقدر لهذه القوة أن ترسخ نفوذ الصفويين .

وفي عام ١٤٨٨ قتل حيدر في احدى المعارك المحلية فتولى قيادة الحركة الصفوية الشيخ إسماعيل بن حيدر الصفوي الذي استفاد من ضعف الإمارة الآق قوينلو في اواخر ايامها ليفرض سيطرته على أذربيجان ويدخل عاصمتها تبريز ويجعلها عاصمة له واتخذ لنفسه لقب الشاه عام ١٥٠١ ، وسط مراسيم مفخمة وقد حكم إيران من ١٥٠٠ حتى ١٥٢٤، استخدم الشاه اسماعيل الصفوي الدين والتصوف وسيلة لفرض هيمنته على إيران متخذاً سياسة طائفية مقيتة، ومن ذلك اتخاذه سب الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول وسيلة لامتحان الإيرانيين من ناحية وكما أكد على ضرورة المبالغة في الاحتفالات الدينية من ناحية ثانية.

تطلع الشاه إسماعيل الصفوي إلى ماحوله فكان لابد أن يجذب العراق انظاره فهو مجال التوسع في الغرب، كما أن أوضاع العراق السياسية المتدهورة آنذاك كانت مشجعة للتوسع الصفوي مدفوعاً بعدة أسباب مهمة منها:-

١ _ العراق بلد زراعي يمتلك ثروات لسد حاجة سكان الهضبة الإيرانية الفقيرة،

٢ _ يعد العراق مركزاً تجارياً مهماً يطل على الخليج العربي،هذا بالإضافة إلى وجود العتبات والمراقد المقدسة فيه.

٣_ السيطرة على بغداد يعني السيطرة على قلب العالم الإسلامي مما يعطي للشاه إسماعيل مكانة رفيعة لدى المسلمين.

على هذا الأساس قام الشاه إسماعيل بالسيطرة على العراق عام ١٥٠٨ دون مقاومة تذكر وعين ( خادم بيك ) والياً على بغداد ، ومحمد كمونة مشرفاً على العتبات المقدسة، وبهذا أصبحت الدولة الصفوية متاخمة للدولة العثمانية ، واصبحت إيران ملجأ للفارين من بطش السلطان العثماني وكذلك عمد الشاه اسماعيل الى تشجيع الحركات المناوئه ضد العثمانيين والانتشار أعوانه وأنصاره في الأناضول مما زاد تفاقم التوتر والصراع بين الدولتين الصفوية والعثمانية فيما بينهما لتحقيق دوافعهم واهدافهما التوسعية للبلاد مع استمرار الصراع دموي بين الصفويين والعثمانيين للعراق حتى القرن التاسع عشر .

واخيراً يمكن القول إن الدولة الصفوية قد مرت بمراحل عدة :-

١_ مرحلة صفي الدين إسحاق الأردبيلي ١٢٥٢_ ١٣٣٥الذي تنسب له الدولة الصفوية والذي أصبح له الألف الإتباع قبل وفاته

٢_ مرحلة صدر الدين موسى وقد تميزت بالفوضى وعدم الاستقرار السياسي في إيران .

٣_ مرحلة جنيد ١٤٤٧_ ١٤٦٠ومن المراحل المهمة في تاريخ الحركة الصفوية لأنها اتخذت طابعاً سياسياً

٤_ مرحلة حيدر بن جنيد ١٤٦٠_ ١٥٠٠وقد تحالف مع إمارة الآق قوينلو الموجودة في العراق تعد مرحلة مرحلة مهمة لأنه نظم الدولة الصفوية من الناحية العسكرية.

٥_ مرحلة اسماعيل الصفوي ١٥٠٠_ ١٥٢٤ وتعد من أهم مرحلة في تاريخ الدولة الصفوية لأنه تمكن من بسط سيطرته ونفوذه على إيران ثم توسع على حساب المناطق المجاورة ولاسيما العراق من خلال اتباعه سياسة طائفية.

٦_ مرحلة طهماسب ١٥٢٤_ ١٥٣٤وصراعة مع السلطان العثماني سليمان القانوني والحملة العسكرية على العراق